وللشرق البعيد أولياؤه مع العصور الأولى

د.بشار الجعفري ورواية تاريخية تؤصل للإسلام في أرخبيل الملايو معتمداً على الوثائق

البحث عن السلام... وبسبل السلام وصل الإسلام وأرخى ظلاله

| إسماعيل مروة

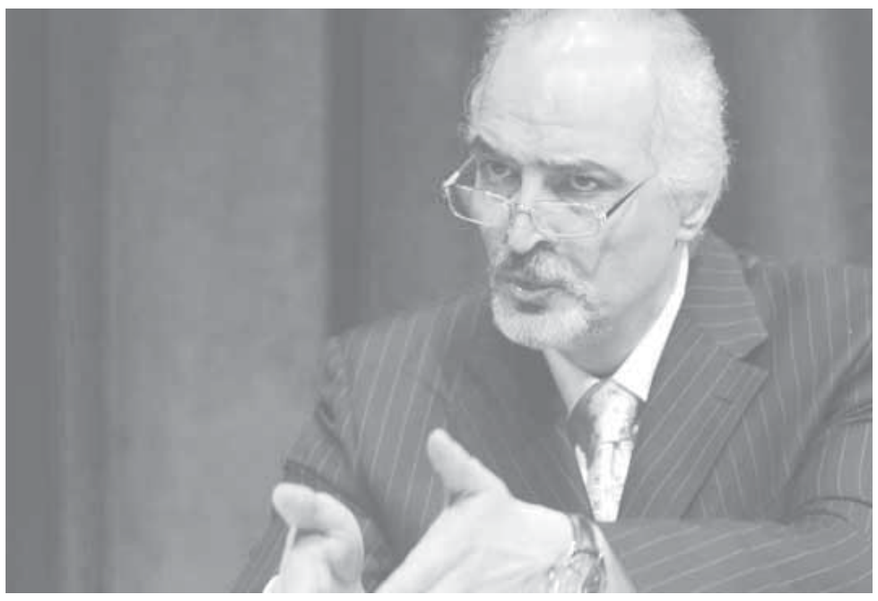

عن طريق التجارة والتجار، ومع رحلات الاستكشاف، وبالفتوح والقوة وصل الإسلام إلى أرخبيل الملايو كما تقول بعض دراسات المستشرقين من غير المسلمين، ولم تناقش مثل هذه الآراء لانعدام وجود دراسات جادة ومنهجية، ولانعدام وجود معلومات لدى القارئ قادرة على مناقشة الآراء التي تحملها الدراسات التي وصلتنا، هذا ما يذهب إليه د.بشار الجعفري في تقديمه للبحث الشائق (أولياء الشرق البعيد– أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة) والذي صدر في طبعته الثانية المعدلة عن الهيئة السورية العامة للكتاب بدمشق منذ أيام، وقد أحسن د.الجعفري بطبعه في الهيئة بدمشق، والهيئة أصدرته بصورة لائقة، ليقدم كلاهما للقارئ السوري كتاباً فيه من التميز الكثير شكلاً ومضموناً، وحبذا لو قدم المؤلفون ذوو المكانة مؤلفاتهم في مؤسسات سورية لتكون متاحة للقارئ السوري بالشكل الأمثل، وحبذا لو تبع هذا الكتاب، كتاب الجعفري المهم (سياسة التحالفات السورية) في طبعة تتاح للقارئ السوري.

الأساطير والحلقة المفقودة

عنون المؤلف كتابه بالأساطير، وذلك عن وعي وقصد، فما يتم تداوله عن الشرق البعيد والإسلام أشبه ما يكون بالأساطير، ويعزو ذلك في السطور الأولى إلى الاهتمام الذي أولاه الدارسون للمناطق القريبة من المنطقة العربية «تنقب في أمهات الملفات المتعلقة بتاريخ العلاقات العربية والإسلامية مع أوروبا والغرب، على حين لم تول تلك الأقلام عناية مماثلة لتاريخ العلاقات العربية والإسلامية مع أقاليم جنوب شرق آسيا عموماً ومع أرخبيل الملايو على وجه الخصوص، رغم ما يكتنف تلك العلاقات من معطيات ودروس مهمة لا تزال صالحة حتى أيامنا هذه، ورغم ما تنطوي عليه تاريخية العلاقات هذه من قدم وغنى في الاتصالات المبكرة، وتواصل في التحالفات الرادعة وتشابه في التجربة وتماثل في طبيعة الخصوم والأعداء».

الذي يعني القارئ هنا هذه النظرة المتقدمة جداً للدكتور الجعفري، فهو الدبلوماسي العارف، وقبل سنوات من الحرب التي تشن على العرب، وعلى الإسلام ضمناً حدد مواطن الضعف الفكرية، فالعرب توجهوا بحكم الجوار وأشياء أخرى إلى الغرب وأوروبا، وتغافلوا عن العلاقات التي تربط بين العرب، ومن تشابهات في التجربة، بل التجارب، واللقطة التي يوقف عندها هي طبيعة الخصوم والأعداء، وإذا ما عدنا إلى ما أطلق عليه رحلة نهوض النمور الآسيوية والآلية التي تعامل معها الخصوم ندرك عمق ما جاء به الدكتور جعفري.. هذا بالإضافة إلى الأثر الكبير الذي تركه المسلمون الأوائل الذين قصدوا الأرخبيل والأرخبيل الذي تركه المسلمون الأوائل الذين قصدوا الأرخبيل وأندونيسيا، مما قرّب من الطبيعة التي تؤثر السلام والإقناع بعيداً عن القوة الفتوح، ويضاف إلى ذلك أن هذه الرواية التاريخية ليست رواية بعيدة، بل هي رواية عن قرب لرجل قضى عمراً في تلك المنطقة، ومن هنا أنظر إلى هذه الرواية من اتجاهات ودوافع:

– تحرير النظرة الاستشراقية التي اتخذت وجهات غير دقيقة.

– إنصاف المسلمين الأوائل الذين قصدوا الملايو، وإنصاف مسلمي الأرخبيل.

– القراءة السياسية الدبلوماسية الواعية، وهو الذي يتواصل مع صفوة المجتمع.

نقد المصادر

أسهمت الروح الأكاديمية التي يملكها د. جعفري في تحديد المصادر ونقدها في مقدمة الدراسة الضافية، فنهج بذلك نهج الدراسة الأكاديمية التي خبرها، وهذا ما ساعده على تحديد المنهج الروائي التاريخي القائم على التوثيق، لكنه لا يكتفي بالوثائق والإحالات، بل قام بإسباغ ا لروح على الشخصيات، وكساها من ذاته لتصلح أن تكون عملاً دراماياً شائقاً يتتبع هذه الرحلة، فأخذ من كتابات المستشرقين الغربيين والآسيويين من غير المسلمين مثل: ساستسري، شرايكه، وينستدت، كليفورد، غرينباوم، برنارد لويس، غرونجيه، فليكه.. إضافة إلى أعلام التاريخ في الحضارة الإسلامية وخاصة كتب أدب الرحلات الغنية، والكتاب يؤكد أن الجعفري قرأ وهضم الكتب، ولم يستعن بها لأخذ معلومة مثل: أبو الحسن السيرافي، ابن رسته، الاصطخري، ياقوت الحموي، ابن خلدون، ابن بطوطة، الإدريسي، القزويني، القلقشندي وغيرهم من الكتاب..

ويبدو أن الكاتب وهو صاحب المعرفة باللغات آلمه ما وجده في الكتب والدراسات من ظلم للحضارة الإسلامية والآسيوية عموماً، لذلك حدد غرضه من هذا الكتاب بشكل مباشر «إن كتابي هو رحلة روائية عبر عبق التاريخ والجغرافيا والثقافة غرضها الرئيسي هو إثبات أن سادة العولمة بمعناها الحضاري والإنساني هم المسلمون والعرب والآسيويون بمن فيهم سكان أرخبيل الملايو، وأن هذا المصطلح ليس جديداً ومستنبطاً من التقدم العلمي الغربي الحالي، بل قديم قدم الاتصالات بين الشرق العربي والشرق الآسيوي، وأن التجار والدعاة و«والي سونغو» أو «أولياء الشرق البعيد» هم مؤسسو العولمة الإنسانية الحضارية الأوائل في الدنيا، فالغيرة على العرب والمسلمين وأهل الأرخبيل الذين عرفهم هي الدافع للكتاب وتأليفه، ورد الحقائق إلى أصحابها ،وهذا بحد ذاته نقطة مهمة لمصلحة الكتاب والكاتب، فهو ليس كاتباً محلياً متقوقعاً، ولا يجمع الوثائق المتاحة ليدافع عن أمته دفاعاً مرضياً، بل لكاتب يتحدث لغات عدة، وارتقى سلم الأكاديمية، وخبر الشعوب من قادتها إلى الشرائح كافة، ويكتب ليضع أمته في موضعها، لا ليبخس الآخرين ويظهر تفوقاً غير حقيقي، وفي حديثه يتناول السبق الحضاري، ولا يتحدث عن تفوق عرقي أو ديني أو ما شابه.

الكتاب وجغرافيته

لم يبتعد المؤلف عن الحاضنة العربية في المشرق وبغداد خاصة، بل قدم من خلال شخوصه أحداثاً تجري في بغداد ليمهد للبيئة المناسبة للانطلاق «وأما في الداخل فقد نكّل المعتصم بكل من خالف رأيه المعتزلي القائل بخلق القرآن، وقد قام المعتصم بنفسه بامتحان الإمام أحمد بن حنبل حول هذه المسألة، ولما خالفه الرأي ضربه بالسوط وأمر بسجنه وتعذيبه..».

ويضيف في تصوير الأجواء «هكذا كانت الأجواء السائدة في عصر أبي عبد الله، شعوب مسلمة ومتعددة الأعراق واللغات تتعايش فيما بينها متحينة الفرصة للقفز فوق سدة السلطة، وأقليات غير مسلمة من مختلف الطوائف والعقائد تبحث عن دور لها في ظل عظمة الخلافة الإسلامية، وعلماء وفقهاء يجولون الأمصار بحثاً عن الحقيقة المنشودة ووقوفاً على حدود تلك العظمة الجغرافية».

ومن ثم تأتي رحلة السفينة التي تستغرق أعواماً، فيها ما فيها من أهوال وموت ورعب يأتي تصويرها كما في كتب الرحلات لابن بطوطة، مع استخدام مصطلحات مماثلة وشبيهة مثل (الزابج)، وتبدأ العلاقة التجارية وها هو الأمير في تلك البلاد البعيدة يقول «إن حكومتنا تولي أهمية كبرى للتجارة مع الأمم الأخرى، ولذلك فنحن نقوم بالسهر على حفظ أموال وتجارة الضيوف الأجانب الذين يتاجرون معنا».

ما بين بغداد وأرخبيل الملايو وحضرموت، ما بين سياسة وتجارة واقتصاد، ما بين علم وتاريخ وأدب، يسرد المؤلف تاريخ تلك الحقبة، ويرصد التعامل بين العرب والآخرين، وللحق فإن الكتاب يمتع قارئه ويشوقه، ولكنه في الوقت نفسه صعب على القارئ الذي لم يمتلك تلك الخلفية التاريخية للحقبة التي تجري روايتها..

كتاب مهم يعطي أبعاد قراءة الدكتور الجعفري السياسية والفكرية لمجريات سبقت، وربما يؤسس لرأيه فيما يمكن أن يكون حاكماً لعلاقات الناس والدول، وربما كان اختيار الأسلوب الروائي الحكائي من باب الخروج من إعطاء أحكام قيمة قد يختلف عليها الباحثون والقراء..

كتاب (أولياء الشرق البعيد) يميط اللثام عن خاصة كتابية وفكرية وأدبية عند الدكتور الجعفري ويكشف جوانب عن جهود العرب في نشر الإسلام، وفي إقامة علاقات مميزة مع الآخرين، ومحاولة لإعادتنا لقراءة هذا المنجز وقد جاء في كلمة الكتاب:

«هذا الكتاب الرواية المودع بين يدي القارئ هو أشبه ما يكون بالسفينة الشراعية التي حملت أوائل الرواد من سواحل الخليج العربي وعمان إلى الهند والبنغال والصين وجزر الملايو، فلنحاول معاً محاكاة مأثرة أولئك الرواد المبكرين، ولو أدبياً، لعلنا ندرك حجم ومدى الإنجاز الذي حققوه وأنجزوه في تلك المناطق النائية من كرتنا الأرضية التي سماها الرحالة العربي ابن بطوطة في غير يوم بلاد الواق– واق».

كتاب جدير بالقراءة، وشكراً للهيئة السورية للكتاب أن قامت بإعادة طبعه ليكون ميسراً بين أيدي القراء السوريين.

> كتابات غير المسلمين من المستشرقين عممت نظريات قد لا تكون صائبة

بين الإنتاج والدبلجة ضاع الطفل العربي

صراع الأجيال الكرتوني يتفاقم بين الحاضر والماضي

هل مسؤولية المتابعة التلفزيونية على عاتق الأسرة فقط؟

| سوسن صيداوي

في صراع بين الماضي والحاضر وصراع بين الأجيال المتتالية نجد ثغرات كبيرة في طريقة التفكير والتنشئة وغيرها من الأمور التي تساهم بطريقة ما في تربية الطفل وتوعيته.

التلفزيون كان ومازال رفيقا أنيسا للعائلات على الرغم من مزاحمة الإنترنت وملحقاته من برامج التشات والتواصل الاجتماعي، والأمور المتاحة هذه الأيام أصبحت كثيرة فبعدما رُبيت أجيال على مجرد ساعات تلفزيونية تخص الأطفال ويتخلّلها برامج منوعة للأطفال.

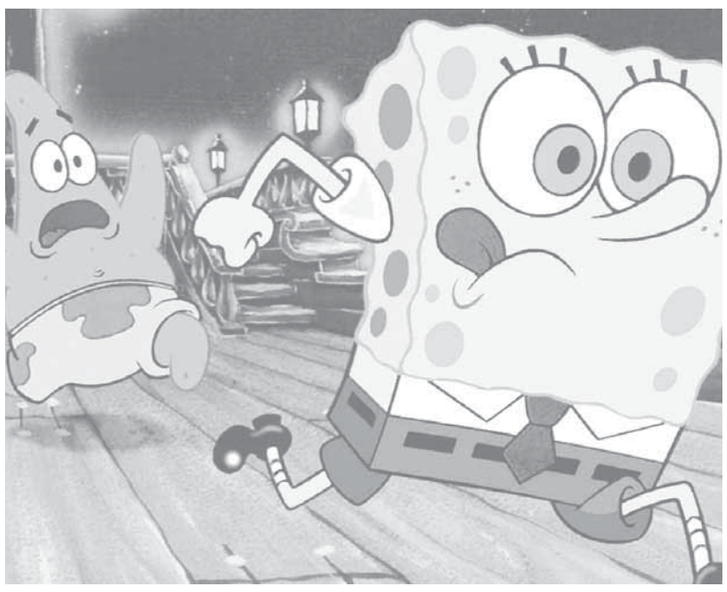

اليوم أصبح الأمر ليس بهذا التعقيد لأن هناك قنوات تلفزيونية خاصة ومنوعة البرامج بحسب أعمار الأطفال، ولكن في تاريخ مضى كان هناك نوع من الانتظار التوّاق لافتتاح القناة السورية الأولى والذي كان يتم في الظهيرة في الساعة الرابعة وبعد النشيد الوطني السوري وتلاوة القرآن الكريم تبدأ الحماسة بظهور مقدّمة البرامج وسماع محتوى فترة الأطفال من برامجها ومسلسلاتها وكانت الفترة بوقتها ممتدة لساعة ونصف الساعة وفي يوم العطلة، والذي كان يوم الجمعة، كانت الفترة صباحية طويلة، تلك الأيام جميلة ويستلّذ بتذكرها عدة أجيال ويستمتع الكثيرون بوصفها في حياتهم العمرية ويقول «سقى الله» وكأنّ حلاوتها مشابهة لحلاوة طعم العسل في أفواههم وهذا الطعم لا يمكن لأي نكهة في الوجود أن تكون قادرة على إزالته بأي نكهة أخرى، هذه الفترة عنت للكثيرين ولا يمكن محوها ولكن ما السر فيها... ولماذا هذا العشق الذي لا يمكن نسيانه وكأنه حب أول يمضي العمر كلّه ولا يمكن أن يُنسى، هل السر في كمية البرامج التلفزيونية المتاحة في فترة الأطفال أم في النّوعية؟ إذا سمحتم لي بالإجابة أظن في وقتها السحر والمتعة بسبب الإثنين، فالكمية المحدودة من البرامج تعطي نوعا من الشوق في ترقّب الانتظار أما بالنسبة للنوعية فهي أيضاً لها سحر إضافي، ففي الثمانينيات إلى التسعينيات ازدهرت تلك الفترة ببرامج تلفزيونية للأطفال لم يتكرر مثلها، هل الأمر مبالغ به، هذه شهادتكم وليست شهادتي، سأذكر على سبيل الذكر وليس الحصر بعضها: توم وجيري، ساسوكي، غرينديزر، حكايات عالمية، أوسكار، ساي، ساندي بل، الكابتن ماجد، ماوكلي، هذه هي الحياة، اسألوا لبيبة، افتح يا سمسم، عدنان ولينا.

طبعا هذه المجموعة لم أقم أنا باختيارها بل أنتم وهي بعض مما كان يستحوذ انتباهكم واهتمامكم، وعلى الرغم من أنها متنوعة المواضيع والقصص فمنها الذي يكشف أسرار الحياة البشرية بأسلوب علمي بسيط ودقيق، وفي الوقت نفسه منها ما يطرح قضايا اجتماعية مهمة لا يمكن أن تتغير مهما تغير الزمان مثل الجشع والفرق الطبقي والظلم والفرق بين الغني والفقير واليُتم والتشرد وغيرها، ومن تلك المسلسلات الكرتونية ما تطرق لحياة الغابات وكيف يكون الصراع فيها للبقاء ويبحث قضية البقاء للأقوى، وعلى سيرة البقاء للأقوى منها ما كان واضحاً بطرح قضايا كان من السهل جداً ذكرها للأطفال رغم أنها تاريخية وتحكي عن الثورات والنضال ضد العدو وغزوه مصَورة ما يعانيه الأبطال من ظلم وجوع حتى إنها صوّرت قسوته بمشاهد تجّسد عنفه في القتل والضرب.

إذا هذه الشمولية في هذه التّنوعية الفريدة هي التي جعلت هناك صراعاً قوياً وواضحاً بين أجيال الثمانينيات والتسعينيات وما قبلها مع ما بعدها، مع أجيال مبرعِمة حديثا والتي أقصد بها الأجيال الحالية، اليوم جريدة الوطن كان لها لقاء مع عدة سيدات، أمهات، على اختلاف أعمارهن وثقافتهن لكن كان هناك نوع واحد من التوافقية بينهن وهي الإجماع على أن البرامج الحالية المخصصة للأطفال ما هي إلا تضييع للوقت وتثير الاستياء، من الأهل طبعا، لأن الغرض منها هو التسلية فقط فالنوعية المخصصة للتعليم، إن وجدت، تثير للطفل الملل والشعور بعدم الاستمتاع مع عدم الرغبة بالمتابعة على عكس برامج أخرى رغم أنها خيالية ربما أو فارغة المضمون إلا أنها تشدّ الطفل ومع الأسف الشديد رغم سوء رسم الشخصيات التي فيها الكثير من البعد عن الواقعية وتثير الغرابة في النفس لأن نشاطها غير طبيعي سواء في تناول الطعام مثلاً أم في طرحه كما أنها تتمتع بقدرة غريبة وغير معقولة في التمدد وهذه القدرة لا يتمتع بها كائن مخلوق، إضافة إلى أن إحدى الأمهات لم يكن صعبا ظهور استيائها من أن هناك مسلسلاً كرتونياً خيالياً، وأنتم في غنى عن معرفة اسمه، يزرع فكرة تحول الشخَص إلى شخصية أخرى ومع الأسف الشديد الشخصية التي يتم التّحول إليها هي عبارة عن وحوش، وشرحت الأم متابعة بأن طريقة التّحول تكون بارتداء ساعة والضغط عليها والطريف بالأمر بأن الطفل بنفسه قال إنه حاول تقليد الحركة كي يتحولَ إلى وحش مفترس إلا أنه أخفق واستدرك طبعا أن الموضوع خيال بخيال، ليس خطأ أن يثار خيال الطفل ولكن يجب أن يتم توظيفه بطريقة قريبة للواقع ومفيدة لا أن يتحول الطفل «مقلداً» إلى وحش ويقوم بضرب إخوته وإثارة الفوضى بالمنزل مع الازعاج وغيره من التصرفات السيئة وهذا ما كشف عنه الفنان والمخرج المسرحي قصي قدسية «لا شك أن العالم ينحو تجاه العنف على اختلاف أشكاله ومستوياته، فما يحصل بيننا وحولنا وفي العالم لهو أكبر دليل... ولا شك أن برامج الأطفال التي كنا نتابعها عندما كنا صغارا كانت تختلف بجوهرها وشكلها عما هي عليه الآن، فهي في الفترة الأخيرة /آخر عشر سنوات/ أصبحت مملوءة بالعنف والذي برأيي الشخصي أنه عنف موجّه وبحرفية عالية، وهذا العنف يؤثر سلبا على أطفالنا في حياتهم وحتى في أحلامهم إذ يصبحون بليدين وغير قادرين على التفريق بين الحقيقة والخيال ويصبحون مع الزمن عنيفين أو على أقل تقدير يتقبّلون مشاهدة العنف بكل رحابة صدر وعدم اكتراث وبالتالي يغدون عدائيين، هنا أحمّل شركات إنتاج ودوبلاج هذه البرامج المملوءة بالعنف الموجّه المسؤولية وأحمّل الأهل أيضاً مسؤولية عدم وعيهم لخطورة هذه البرامج، وهناك دراسة علمية تفيد بأن معدل العنف في برامج الأطفال بين ٢٠–٢٥ مشهداً عنيفاً خلال ساعة كرتونية واحدة وهذا معدل كبير... بالمختصر يجب أن تكون هناك رقابة صارمة وحقيقية على هذه المواد المتلفزة والعمل على تصنيفها ومنع ما يؤثر سلبا على أطفالنا، لأنه وببساطة سنشهد أشكالا جديدة من الإرهابيين لا نعرف مدى خطورتهم على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم».

> متابعة الكرتونيات مسؤولة عن جهل الأطفال وعنفهم الواضح في هذه الأيام